

## أضواء البيان

@ 281 العلة الغائية ، كقوله { فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا } . ونحو ذلك لام العاقبة ، والبلاغيون يزعمون أن في ذلك استعارة تبعية ، في معنى الحرف . وقد وعدنا بإيضاح ذلك في سورة القصص . . .  
ونقول هنا : إن الظاهر في ذلك : أن الصواب فيه غير ما ذكروا ، وأن اللام في الجميع لام التعليل ، والمعنى واضح لا إشكال فيه كما نبه عليه الحافظ ابن كثير رحمه الله في مواضع من تفسيره . . .

وإيضاح ذلك : أن الله هو الذي قدر على الكافر في أزله أن يجادل في الله بغير علم في حال كونه لاوي عنقه إعراضاً عن الحق ، واستكباراً . وقد قدر عليه ذلك ليجعله ضالاً مضلاً .  
وله الحكمة البالغة في ذلك ، كقوله { إِنْ زِلْنَا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ } أي لنلا يفقهوه . وكذلك { فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ } : أي قدر الله عليهم أن يلتقطوه ، لأجل أن يجعله لهم عدواً وحزناً . وهذا واضح لا إشكال فيه كما ترى . وما ذكره جل وعلا في هذه الآية : من إعراض بعض الكفار عن الحق واستكبارهم أوضحه في آيات أخر من كتاب الله ، كقوله تعالى { وَإِذْ تَتَذَكَّرُ الْعِلَاقَةُ إِذْ نَادَتْ بِأَيَّتِمَّاتِهَا وَاللَّيْلِ مَسْكُوتَاتٍ كَأَنَّ لَيْلَهُمْ يَسْمَعُونَهَا } وقوله تعالى { وَإِذْ قَالَ لَهُمْ تَعَالَوْا ۖ يَسْتَعْفِفُونَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ وَاوَّوْا ۖ رُءُوسَهُمْ ۖ وَرَأَيْتَ يَتَهَمُونَ ۖ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ } وقوله تعالى { وَإِذْ قَالَ لَهُمْ تَعَالَوْا ۖ إِلَٰهِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۖ وَإِلَٰهِي الرَّسُولُ رَأَيْتَ الْمُؤْمِنِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } وقوله تعالى عن لقمان في وصيته لابنه { وَلَا تَصَعَّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ } أي لا تمل وجهك عنهم ، استكباراً عليهم . وقوله تعالى عن فرعون { وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ ۖ إِلَٰهِي فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ } فقوله { فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ } بمعنى : ثنى عطفه .  
وقوله تعالى { وَإِذْ أَنْزَعْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَاضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ } إلى غير ذلك من الآيات : وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ } أي ذل وإهانة . وقد أذل الله الذين جادلوا في الله بغير علم ، ولا هدى ، ولا كتاب منير : كأبي جهل بن هشام ، والنضر بن الحارث بالقتل يوم بدر . . .  
 ويفهم من هذه الآية الكريمة أن من ثنى عطفه استكباراً عن الحق وإعراضاً عنه عامله